الشاعر المغمور

بديع خليل الخوري

١٨٩١ – ١٩٢٠

بقلم جرجي ابرهيم نصر

في العودة الى الماضي تنكشفُ أمامنا صفحاتٌ مطويّة ، وآثارٌ مخفيّة ، من كنوز العلم والمعرفة ، فتنفتح أبصارنا على تراث عريق دفين ، مليء بذكريات الماضي البعيد . يمتد بنا هذا الماضي الى عالم مجهول ، فيكشف لنا عمّا طواه الزمن من أحداث جسام ناطقة بالعظات والعبر .

هذا شاعرٌ ذوى غصن شبابه مبكرًا ، فلفّه النسيان بحجاب كثيف قبل تراخي الزمن ، ولكن أدبه الغضّ ظلّ يتلألأ في ظُلمات الغيب يشعّ فينير ماضياً قريباً من ثمرات الفكر اللبناني الناضج ، ذلك الفتى الشاعر هو : بديع خليل يوسف الخوري وُلد في بكاسين في ٢٧ من آذار ١٨٩١ فبدت على وجهه من نعومة أظفاره سيماء الذكاء والنجابة ، وتلقّى مبادئ العلوم الابتدائية في وطنه وعلى عمّيه الطبيبين شاكر وأمين ، ثم التحق بمدرسة الحكمة في بيروت فتفتّحت مداركه ، ونضج تفكيره ، وتفوّق على أقرانه ، بتوقّد ذهنه ، وسرعة خاطره ، وأقبل منذ الصغر ، على قرض الشعر ، ومراسلة الصحف ، والدعاية لوطنه ، وهو لا يزال في مقتبل العمر ، فكان شاعراً في ولادته ونشأته وبيئته ولو مدّ الله في عمره لعلا الى مصاف كبار الأدباء .

وفي اوائل سنة ١٩١٢ غادر وطنه الى مكسيك حاملاً معه من ربوع لبنان الجميلة الحنين الى ذلك الوطن المفدّى الذي أنبته ترابه وغذاه هو بأدبه .

ولمّا هاجه الحنين وثارت بنفسه كوامن الذكريات ، وقف على رصيف ميناء بيروت يودّع أصدقاءه بأبيات تأسف لضياعها . وقد وعت الذاكرة الأبيات التي ودّعه بها الدكتور الأديب شكري توما الخوري (١٨٧٣–١٩٤٣) باسم والدته وشقيقته :

أيا مبحراً مني أخذت أحبتي ... وفي القلب بركان من الشوق يستعر
فمركبهم نيران قلبي بخاره ... وفي أبحر من دمع عيني قد مخر
ولو قصد الربّان اعلان سيره ... له من أنيني آية تعلن السفر
فلا كنت يا مكسيك في الأرض بقعة ... ولا كنت يا كولومب يوماً من البشر

وزاول هناك التجارة صادقاً مخلصاً ، وما كانت هذه المهنة لتنسيه الأدب ، فنشر الروائع من نفثات قلمه باسلوب شائق عذب ، ونظم قصائد اتسمت بلغة سلسة سهلة تأثرت باسلوب المهجريين ، كما كتب مقالات أدبية تفيض شوقاً وحنيناً الى وطنه تغنّى فيها بأمجاد لبنان وجماله ، وكان هذا الحنين يذكيه الشوق المبرّح للعودة الى وطنه الأول . ولكن المنية عاجلته فتصفته غصاً رطباً وأطفأت سراج ذكائه في دار غربته في ٦ من آب سنة ١٩٢٠ مأسوفاً على شبابه ، قبل ان ينضج أدبه وتتفتح غلائف دقائقه وكنوز خزائنه ، وبفقده خسر الأدب عضواً نافعاً من أعضائه فبكاه اصدقاؤه وتعارفو فضله وبكى فيه لبنان مواطناً موهوباً لو عاش لأسدى لوطنه أجلّ الخدمات ، وقد طالما دعا الى الثورة على الظلم والوقوف في وجه المستعمرين المستبدّين والطغاة الظلام الذين أذلّوا رقاب المواطنين وهضموا حقوق اللبنانيين .

وقد اشتهر رحمه الله ، بخلقه ونبله ، ومحبته ، ووفائه ، واتزانه ، وسعة صدره ، ورقة شمائله ، الى جانب ما تحلّى به من الدعة ودماثة الاخلاق .

وقد كتب في مواضيع شتى ، وترك آثاراً نثرية وشعرية لا تزال مخطوطة تدلّ على عمق تفكيره وبعد نظره .

وقد تناقلت الجرائد بعد وفاته مقاطع من شعره ، منها جريدة «الغربال» التي أنشئت في مكسيك في شهر ت ٢ سنة ١٩٢٣ التي نشرت في العدد التاسع والستين الكلمة التالية :

صفحة مطويّة

« أرسلت لنا حضرة السيدة الفاضلة عدليدا خوري (١٨٦٨–١٩٥٦) رزمة محتوية على عدة قصائد من نظم الشاعر النابغة ولدها « بديع » الذي كان في حياته من أعزّ أصدقائنا . وقد فعلت ذلك بناءً لإلحاحنا على حضرتها : بوجوب نشر تلك الدرر الفريدة التي نظمها ولدها في حياته . تذكرةً لصداقته وتكريماً لنبوغه . وقد بدأنا بنشر القصيدة التالية التي نظمها في رثاء صديق لوالده وهو في السنة الخامسة عشرة من العمر وهي في رثاء فارس بك شتير » .

نماذج من شعره : ومن آثاره الشعرية : أبياتٌ بعث بها الى نسيبه السيد يوسف مارون لبّوس الخوري (١٨٨٠–١٩٥٤) تنطوي على عواطف سامية ، تعرب عمّا كان يتمتّد من ثورة تسيل فيها دماء اللبنانيين ، دفاعاً عن الوطن ، يدلاً من أن يدركهم الوبال ، وهم راسفون في قيود الذلّ والاستكانة وهذه هي :

مكسيك في ١٥ شباط سنة ١٩١٩

الى ابن العم الحبيب يوسف

ترى يطيب لعينٍ لا تسحُّ دماً ... تنعُّمٌ وفؤاد الناس متبولُ
ناري فلا بردى يطفي تأجّجها ... ولا الفرات ولا العاصي ولا النيل
ذكّت وقد ذكّت الأنواء من وطني ... معالماً شادها القوم البهاليل
وأحرّ قلباه يخلو من ضراغمه ... ذاك الشرى وحسام الثأر مغلول
لو أنهم بالقنا ماتوا فخرتُ بهم ... لكنّ موتهم هونٌ وتذليلُ

أجل ايها الحبيب انها لميتة ذلّ تبعث على الرحمة والشفقة دون الاحترام والاعجاب ، وما كان أحرى ابناء الوطن عموماً لو ماتوا تحت ظل السيوف غضابى للشرف المسام والقدر المحقور ، ولكن جرى القضاء بأن يموتوا تجويعاً فرحمهم الله ، ولا شك انك تذكر ما جاء في قصيدتي القافية التي نشرتها جريدة « الشعب » بتاريخ ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩١٧ فقد قلت اذ ذاك فيما قلت هذه الأبيات :

لقد بلغ السيل الزُبى وسيوفُنا ... بأغمادها ... معدودةٌ للمفارق
وليس جديراً بالأبي إقامةٌ ... على الضيم طمّاعاً برحمة خالق

فقد يأخذ المولى بكف ذوي الهدى ... وذو الجبن لن يخطى بنعمة رازق
ومن يطلب الأمر الذي هو تائق ... اليه ولا يسعى فليس بتائق
دعوا القول بالاخلاد للذل وانهضوا ... الى الترك واصلوهم سعير البوارق
فإن الردى بالسيف في ساحة العلى ... لأشرف من عيش الرقيب المسارق
واني لأرضى بالحياة مفارقاً ... بلادي وللاتراك غير مرافق
وأرضى بموت الأهل والصحب والمنى ... وفي الأرز لا يبدو سوى صوت ناعق
ولا ارتضي عيش العبيد على المدى ... نسير وراء الترك نحو المزالق

ولكن جرى القضاء بأن يموتوا تجويعاً. فرحمهم الله وألهمنا على المصيبة بهم جميل السلوان وعسى يردك من الأخبار على عتليتك واولادك ما يثلج قلبك سروراً.

بديع

(غادة تباسكو) وقد نشرت جريدة الخواطر المكسيكية للشاعر بتاريخ ١١ ت ١ سنة ١٩١٧ قصيدة رائعة بعد أن مهّدت لها بالكلمة التالية:

« لنظم هذه القصيدة قصّة لطيفة هي أن السائح الأديب والسيد عبدالله زخم كانا ليلة في منزل الشاعر المطبوع بديع افندي الخوري فوصفا له غادة تباسكو فدعاهما الى تناول القهوة في صباح اليوم الثاني فباكراه، فدفع اليهما بالقصيدة التي ننشرها ملتزماً فيها وصفها للغادة وفي ذلك من الدلالة على سليقته الشاعرية وسرعة خاطره ما لا يخفى. » ولو اتّسع لنا المقام لنشرنا هذه القصيدة العصماء.

وهذه أبيات نقتطفها من قصيدة نظمها في مدح المغفور له البطريرك الحويك اثناء سفره الى مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩.

سر تجد عقلك المنيرَ هلالا ... قائداً للهدى يبيدُ الضلالا
سيّد الشرق بلّغ الغرب إنّا ... لم نزل للعلى نشدّ الرحالا
مثل صنين أنت عصمةُ شعب ... وذرى الأرز هيبةٌ وجلالا
واتّساعُ البقاع صدراً وفكراً ... ومياه « الصفا » مُنىً وخلالا

ومن بواكير شعره قصيدة نشرها بمناسبة وفاة خاله المرحوم نعمان الخوري ١٨٥٦–١٩١٠ فنصل فرنسا من الدرجة الاولى في مراكش المتوفى فيها في ١٥ آب سنة ١٩١٠ نظمها الشاعر في اول كانون الثاني سنة ١٩١١ وقد دعاها (دمعة العام) وهذه هي:

رأس الزمان عليك بات مصدّعا ... وفؤادُه بتسدّى رداك تقطّعا
وعلا من الشرق الصياح لدن هوى ... من افقه قمر الكمال مزعزعا
وبكى عليك الغرب يندب سيدًا ... ندباً خطيرًا بالجلال مقنعا
وبكاك كل الناس ثم كأنّه ... من دمعهم ما في البحار تجمعا
وتقطعت اوصال اهلك حسرةً ... وتشوّقاً وتروّعاً وتفزّعا
« حتى كأنّ لكل عظم رنّةً ... في جلدهم ولكل عرق ملمعا »
وتشاطر القطران آيات الاسى ... والارز بعدك بات سهلاً بلقعا
فرثاك (لبنانٌ) بدمع عيونه ... وكذا (النصير) نعى الخطيب المصقعا
وبدا (اللسان) يضمّ بين سطوره ... آيات حزن تسترقّ الادمعا
وتوشّح (الاهرام) اثواب الاسى ... لما الردى اركان مجدك زعزعا
واهتزّ من صدر (المقطم) قلبه ... لما بنسج البين وجهك برقعا
وروت لنا (الاخبار) انك سيدٌ ... ما كنت في غير النهى متدرّعا
ورثاك (بيشونٌ) وقال حقيقةً ... برداك بات مضيعاً ما جمعا
وبانكم خير التناصل عندهم ... وعن اللحاق بكم يقصّر من سعى
وبأن ذكرك لا يزول على المدى ... وبجبهة التاريخ صار مرصعا
نعمان هل تدري الذي يجري بنا ... ام انّ ذاك العهد راح مضيعا
نعمان انّا لا نزال على الولا ... فقلوبنا اضحت لديه خضّعا
نعمان لو قبل المنايا بفدية ... لفديتكم وعبدت ذاك المصرعا
نعمان قف قبل الوداع هنيهةً ... وارمق شقيقات يكنّ توجعا
فقلوبهن تمزّقت وتقطعت ... احشاؤهنّ من البكاء تقطعا
والفت لحاظك للربوع ترى بها ... من كل داهية سناناً شرّعا
وانظر اليّ فديت لم يبق الاسى ... بي موضعاً الاّ وفيه تربعا
وبدا لعيني الشرق بعد منيره ... غرباً وصار الغرب عندي مطلعا
ابكي ابي فيزيد خطبك حرقةً ... عندي فقد كنت الحنون الاوزعا
ما الموت الاّ قوةٌ محجوبةٌ ... جابت بسالتها النواحي الاربعا!
فاعدد لنا ايان كنت منازلاً ... فبغير ربعك عيشنا ما امرعا
فعليك مني للقاء تحيةٌ ... يذكي لظاها من فؤادي الاربعا
واليك مني ما حييتُ مراثياً ... يجري لها الصخر الجماد الادمعا
ما قال بعدي في رثائك شاعرٌ ... رأس الزمان عليك بات مصدعا

بكاسين في ١ ك ٢ سنة ١٩١١

ومن بديع منظومه قصيدة يرثي بها عمّه الدكتور شاكر الخوري (١٨٤٧–١٩١١) وقد اقتصرنا على الإشارة اليها :

وقد أهدى رحمه الى ابن عمه حليم شاكر الخوري وزوجته وكتب عليه البيتين التاليين :

أحبّة القلب . ذكرى الأمس باقية مخضرمة بيد الاخلاص في كبدي
أمّا البقاء فما شطّ القرار بنا فنرتجي عندكم في موضع خلد

١٩٢٠

نماذج من نثره : كان الفقيد رحمه الله ملمًّا بشوارد الأدب . حريصاً على اللغة العربية وانقاء الفاظها . وكان أنيق العبارة . طلي الحديث . جميل الخطّ . وكان من حين الى آخر يبادل أهله رسائل تفيض حنيناً وشوقاً ومن ذلك ما كتبه الى نسيبه المرحوم يوسف مارون لبّوس الخوري . وقد عنيت بنسخ هذه الرسائل ونشرها : وهي تدلّ على صدق وطنيته . ورقّة عاطفته . وعمق تفكيره . وجمال وصفه : وبعض هذه الرسائل يكشف عن شخصية بعض المعاصرين من أرباب الصحافة في تلك الأيام .

وقد أوردنا بعضاً منها في ما يلي :

مكسيك ٣٠ آب سنة ١٩١٢

اخي الحبيب يوسف (مارون لبوس الخوري)

اقبلك مع بعد الدار قبلة أخ يبدو اخاً سلاه وهو لا ينساه : واذكرك بعيد حفظته لك فنقضته : وشتّان ما بين حفظ ونسيان : وبعد ما زلت اتنشّق نسمات اخبارك من فلك سواك حتى اتنبى انيّ البشر باسم مثواك . فسمقتها اليك عذراء ترفل بالعواطف : وتتجلّى بالمعنى : حتى اذا راقك ما بها من الظرائف تجلّى الوضع والمبنى : فلا ترمها بخفايا النسيان حاجباً عنا ضيا قلمك بل انزلها منك باحنان : واستق منشئها من مداد قلمك . واتحفني باخبارك عن المادية والأدبية . فان لفي الاثنين غاية حيوية يسرّ اليها اخوك المبعد : وينال بها السرور الأبعد : فلا تضنّ عليّ بما طلبت ، خيفة أن اكبّ ما حلبت ، ونحن بحاجة لجبر الكسر فلا تحملني لكسر الجبر والصلاة والسلام من اخيك واودّ ذويك .

بديع خليل الخوري

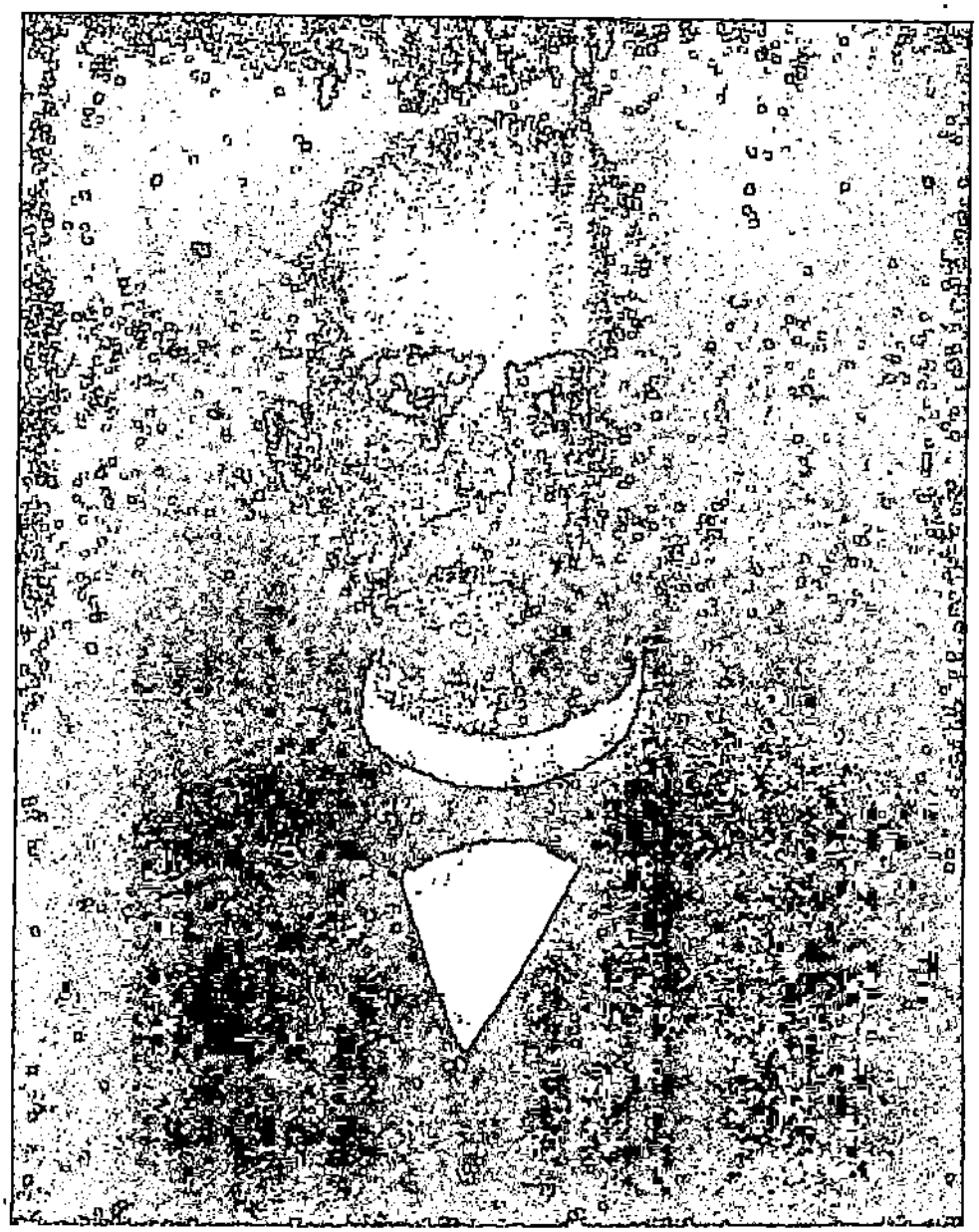

والد صاحب الترجمة خليل يوسف الخوري

١٨٤٠ - ١٨٩٤

الدكتور امين يوسف الخوري

١٨٥٢ - ١٩١٩

بديع خليل الخوري

١٨٩١-١٩٢٠

مكسيك تونتباك ٨ ايار سنة ١٩١٧

ابن العم الاعز يوسف حفظك المولى

اخذت كتابك الأول وبه رسم صفاتك وطيّه رسم شخصك فطربت للاثنين وكلاهما عزيز عندي. ثم تناولت الثاني وقد حداك الى تحريره ما طالعته عني في جريدة الشعب الغراء ويستدلّ منه انك ناقم على محبوب افندي الشرتوني لنعته المرحوم عمّي (الدكتور شاكر الخوري) بالظريف المشهور. وهي حقيقة لا يؤاخذ عليها لأن عمنا المرحوم مع ما كان عليه من المعارف لا سيما الطبية منها قد امتاز على الأخصّ « بنكاته » الأدبية وخفة روحه وسرعة خاطره؛ وهذه الصفات يعبّر عنها لغة بالظرف. فهو لم يخطئ اذاً بل ذكره بما هو معروف ومشهور عنه بنوع أخصّ كما لا يخفاك فكن مرتاح البال من هذا القبيل.

سرّني جداً انك تذكرني دائماً في مجالس انسك فأشكرك اما انا فاذكرك في خلواتي فتملأ ذكراك انساً ما في الفؤاد من غم وكربة لما هو فيه الوطن العزيز من المصائب والاحن.

انا حاسدٌ لأصحابك تمتعهم بلطفك وتشنيف آذانهم بصوتك الجميل ووددت لو كان يسعدني الحظّ بلقياك بعد طول الفراق فهل لك يابلاغي هذه الأمنية وأنت قادر متى قصدت؟..

لا تخف على بديع ان ينساك فهو أشدّ من ودّ تمسكاً بحبل وداده لا سيما متى كان المودود من امثالك ايها العزيز.

استلمت مع كتابك الاخير آخر من ابنة العم العزيزة شقيقتك ماري؛ كان فرحي به شديداً ولكنها تذكر لي قليلاً عن العزيز فريد ولا تذكر لي شيئاً عن الحبيب رفعت، فلماذا يا ترى؟ وهل عندك ما تتحفني به من اخباره؟ يظهر انك واخوتك لستم على ولاء متبادل وهذا ما لم اكن لأرجوه منك رغماً عن كل الاسباب التي اظنك ستبديها لي فأرجو وان لم تتفق المصلحة التجارية ان لا تتنافر المذاهب وتتعاكس العواطف لأن جبلتكم واحدة ودمكم واحد والجوهر الذي هو هذه الصلات هو فوق العرض الذي هو كل ما يتناول المادة... فلا تحقد عليّ لكلامي هذا لأنه غيرة عليكم وظناً بأن اشاهد عقد بيتكم الثمين منشوراً. والدتي تهديك التحيات والسلام والاشواق وكلانا تدعو بتوفيقك ونجاحك وسرعة رؤياك وحفظك الله طويلاً.

لابن عمك بديع

١٧ ايلول سنة ١٩١٧

حضرة ابن العم العزيز يوسف

تلقيتُ كتابك بما يعجز عن وصفه : من السرور : أعظم الكتبة ، وكان لي سنان وثيق لم ألق منك علماً ولا خبراً . فحمداً لله الذي جعلك — في آخر الأمر — تذكر ان لك أخاً محباً ودوداً هو قلق البال عليك فنضسته عليك ولو بعد زمن طويل .

سرني علم مقرّك لدرجة نسيت معها ما أصابك من الخسائر . أجل ان هذه كبرى : ولكن انقطاع اخبارك عني كان أشدّ عليّ وأكبر — فالخسائر المالية تعوّض — أما الصداقة الذاهبة فلا ردّ لها .

أنا ارجو لك ايها الحبيب كل نجاح وتوفيق وصحّة تامة وفوق كل ما أرجو هو الوقوف على اخبارك وذلك دون انقطاع فهل لك مرضاتي بذلك . (وهنا عبارات اتى العث عليها) ...

اذا حررت لابن عمنا العزيز سليم (شهدان الخوري) سلّم لي عليه كثيراً وليخبرك اذا كان عنده علم عن سيّدينا الحبرين الجليلين (شكرالله وعبدالله الخوري) وينفيدك صريحاً عن صحة عمي امين (الدكتور امين الخوري) .

كان سرور والدتي كسروري به والذي ساء علينا هو علم معرفتك مقرّ اخوتك الاعزاء فمتى توصّلت الى العلم به لا تبخل عليّ بالعنوان والافادة عن صحتهم ، اقبلك من صميم الفؤاد وأدعو بتوفيقك ونجاحك وراحة بالك بعد التعب ، والدتي بالصحة المرضية تسلّم عليك كثيراً وهي نظيري تطلب اليك مواصلتنا الدائمة بأخبارك .

لابن عمك يديع

٩ آب سنة ١٩١٧

ابن العم الأعز يوسف

اخذت تحاريرك الثلاثة دفعة واحدة وذلك لانتظام البوسطة كما لا يخفاك ، وقد عرفت بأسف البواعث التي حملتك على التنافر مع اخيك الحبيب ، أصلح الله ذات بينكما بما منه خير للفريقين .

مرجع لك مع هذا كتاب سمعان التيان وقد اكبرت من عديلك عمله القبيح نحوك هداه المولى الى الحق وأنالك اضعاف ما تستحق . كما سرّك

سرّني كثيرًا ان صهرنا شكري أصبح كاتباً ولا عجب فهذه الموهبة بركة من اصل (بركات) والله يجازي باخير المجدين المجتهدين . وهو ليس بناثر فقط بل شاعر كبير ايضاً لأنه في كتابه الذي أرسله لصاحب « الشعب » قال هذين البيتين :

« الشعب بالشعب يحيى ان تعهده ... بالنصح في مأزق تهوي به الأمم »
ان الجريدة لو صحّت (مبادؤها) ... تعلو كما يعلو وسط الفرقة العلم ...

فما قولك يا أبا أديب ؟

ربما ذهبت في اواسط الشهر القادم الى العاصمة فهل لك بموافاتي اليها لأخبرك عن يوم سفري بالتأكيد ؟ والاتكال على الله .

الأحوال هنا ليست بالجيدة فتشكر انما الصحة بعزته تعالى حسنة ، والدتي تسلّم عليك كثيرًا وحفظك الله لابن عمك الذي يقبلك الوفاً .

بديع خليل الخوري

١ ايلول سنة ١٩١٧

ابن العم المحبوب جدًا يوسف

اقبلك بشوق : كتابك الأخير ككلّ ما تقدّمه منك يشفّ عن عواطف كبيرة ومبادئ قويمة أمّا ما تظنّه بي من التفرّد فهو من حبك ، لأنني اعرف جيدًا انك لو نظرت اليّ بعين الناقد لا بعين المحبة لأخلقت ظنك بي . فدعك من الافراط بمديحي لأن من كان مثلنا لا يحتاج مديحاً لارساخ محبّة في قلب اخيه ، فنحن انما نتوادد بتجرّد واخلاص وشعور حقيقي لارتباط ارحامنا بنشيج النسب والمودة . فلتظلّ هذه الرابطة موجودة لأننا الآن أحوج منا اليها في كل وقت سواه ...

فقد بتنا نعدّ على الأصابع ، ولا نعلم من بقي حيًا من المتخلّفين منا في الوطن التاعس ، وانه وان كان صحيحاً ما قاله السموأل (ان الكرام قليل) ليجب علينا جمع وحدة هذا القليل كي لا يتفرّق مزاقق ويضمحلّ . فهل لك ان تبدأ هذا العمل بنفسك متحدًا مع اشقائك ؟ ان هذا لما أرجوه منك يا أبا اديب .

سأرى اذا كان يمكنني زيارتك عند توجّهي الى العاصمة والاّ فأنبئك ، حتى اذا تمّ لك متّسع من الوقت تذهب لموافاتي لأول مرّة بعد ٦ سنوات . والدتي تهديك فائق السلام وكلانا نرجو نجاحك وسلامتك برغد وهناء وحفظك الله .

لابن عمك بديع خليل الخوري

٢٥ ك ١ سنة ١٩١٧

ابن العم العزيز جداً يوسف حفظك الله

شوقي اليك لا يحدّ وبعد عرفتُ من الجرائد عن الثورة التي أوقدها في كواويلا كل من القائدين كوس وفوتيارس فلاتسل عمّا ساورني من الهموم خوفاً عليك ان تنال منهم بسوء. فعسى الحكومة تتمكّن من اخماد نار الثورة الجديدة وان لا تكون تضررت بشيء. فتلطّف باخباري عن كل ما يهمّني من ذلك لتعلّقي بشخصيتك وبجارتك.

أرجو لك في اقبال هذه الاعياد اقبالاً مادياً وسعادة شخصية وان تظلّ في رخاء وهناء بعيداً عن كل ضراء وشقاء. والدتي تهديك السلام وكلانا ندعو بحفظك وتوفيقك وطال بقاؤك.

ابن عمك لديع خليل الخوري

مكسيك ٣٠ — ١ — ١٩١٩

اخي الحبيب وابن عمي العزيز يوسف حفظك الله

بالوجد الوافر اليك اقبلك كثيراً واجباً ان تكون بوصول هذا على أحسن ما ترغب صحةً وعملاً وبعد أخذت كتابك اللطيف يمتهى الفرح لأنه نمّ عن اخلاصك الصميم وحبّك الصادق اللذان ما برحا متقابلين مني بالمثل.

تعلّني بالقدوم قبل سفرك فأهلاً بك وسهلاً وليكن وعدك هذا اصحّ من شقيقه في السنة الغابرة فتمّ احلامي الذهبية بلقياك ايها الأخ الحبيب.

أخبار من الوطن رأساً لم تردني ولكن الخواجا يوسف حرفوش تناول كتاباً من أخيه نعيم يقول له به انه مات ٤٠٦ اشخاص وان الجوع شديداً والحاجة ماسّة لكل شيء لأن الأتراك كانوا يدخلون البيوت قسراً ويأخذون كل ما تقع عليه عيونهم، فلم يبقوا فرشاً ولا أسرّة ولا كراسي ولا شيء. أمّا البهائم الداجنة فقد فنيت وليس من حيوان يدبّ في تلك الجهات؛ والمزارع المجاورة خلت من سكّانها فأقفرت؛ أمّا قيتولي فقد توفي من سكانها (٢٤٠) شخصاً... فتأمّل.

عسى يكون وصلك ما ينافي هذه الاخبار أم يخفّفها على الاقلّ. وفي هذا الظرف أرجوك اخباري بما يتّصل بك ولك الشكر. والدتي تسلّم عليك كثيراً وحفظك المولى طويلاً.

لابن عمك بديع

تريتياك ـ ٢٧ شباط سنة ١٩١٩

ابن العم العزيز يوسف (مارون لبوس الخوري)

لا بدّ أنك تكون استلمت كتابي السابق اليك والآن أحرر هذا جواباً على رقيمك الأخير الذي تستسقطني به اخبار الوطن. فلا أخبار عندي ايها الحبيب الاّ ما سبق واعلمتك بها. حتى ان خالاتي للآن لم يخبرن لنا ولكنني قرأتُ في جريدة «الهدى» ان صهرنا ابرهيم أفندي ابي سمرا (غانم) عيّن رئيساً لمحكمة قضاء البترون (قاضي) فارتاح بالي نوعاً وقد أتاني كتاب من ابن العم حليم من باريس يقول فيه «ولا بدّ من اخبارك ان حليماً تطوع في الجيش الافرنسي منذ ذرّ قرن الحرب وحارب كتفاً الى كتف مع أبطال الافرنسيس فرقّوه الى رتبة كبورال، وعلى أثر جرح بليغ (بشظية قذيفة المانية في احدى المعارك الفوج حيث كانت فرقته) أهدي وسام الحرب الافرنسي مع نخلة الشرف اعترافاً بشجاعته ومكافأة لتضحيته. وهو الآن معافى وفي مدينة النور باريس».

قلت انه وردني كتاب منه يقول فيه ان وديعاً في دمشق طبيباً لتسم ضب الاسنان في كليتها وان اخوته ابناء العم جميعاً بخير وقد تلقّى هذا النبأ بواسطة نظارة خارجية فرنسا. وما عدا هذا فحتى الآن لا اعلم شيئاً.

بعد كتابة ما تقدم اخذت كتابك الثاني ففرحت به فرحي بكل ما هو منك ولكن لا اخفيك ايها الحبيب ان تأييدك لسياسة نجيب ذياب لم يرق لي كثيراً فالرجل كثير التقلّب حتى على نفسه اذا بان له ربح مادي من سواها. فهو كان في البدء مناصراً لروسيا فلمّا انحرت تظاهر بمظاهرة ملك العرب ثم انحاز لجمعية سوريا ولبنان مشترطاً على نفسه التقيد بالدعوة الى المشاركة الافرنسية ولمّا ظهر الحزب المنادي بالحماية الامركية لغاية دينية بروتستنتية ومادية فاستجلبوه إليهم بالمال وجعلوه يمرق مروق السهم من مبادئه الاولى لأن الربح عنده أفضل وأولى... فهل بعد هذا ومن رجل ذاك شأنه خير فنرجوه للوطن بواسطته؟ كلا وابيك... اما شكري غانم فهو وان لم تكن سياسته عند مآرب كل المواطنين لأشرف وأنبل وأكبر سياسة ومقصداً وأدباً، ليس فقط من ذياب بل من الكثيرين من ذئاب الصحافة العربية في المهجر.

لا أريد بما تقدم نقد سياستك وأنت بصير بالأمور ولكن استشارتك

اياي فيها حملني على التصريح لك بما تقدم واني لأرجوك اذا كنت لم تبعث بالمقالة التي أرسلتها الي بعد الاّ تبعثها ؛ ليس حباً بغانم بل بك . ومتى شئت الكتابة فندّد بالمبادئ ولا تذكر الأشخاص . ولا تمل الى احد من صحافي نيويورك لأنه اذا وجد بعض المخلصين للوطنية بينهم فأكثرهم مخلص لجيبه في الدرجة الأولى . وعليه فلا تكل ما يمدحونه بالكريم ولا من يهجونه بالذميم . انهم لقوم يضحون أشرف العواطف على هياكل مطامعهم السافلة ... ويتبجحون ويستزفون أموال الأمة من جيوب الأيتام... ويتفخّرون ... فاياك ايها الحبيب من الانخداع بجمل انيقة يدسّونها في مقالاتهم وهم تحت سجف الرقة عن انياب الغدر كاشرون ؛ واربأ بأدبك من موالاتهم إلاّ إلماماً فليس أكثرهم حتى باليسير من الودّ جدير . واجعل نصب عينيك — مستقبل لبنان — لبنان فقط بحدوده القديمة وبعده سوريا ...

اما الشارقة فقرنسا ينظري أحق بها من سواها وليست فلسفة ولسن بالكافية لتفوّق دولته على تلك وهي التي ساعدتها على تحررها من الانكليز والتي ذرّ منها اول شعاع حرية أنار العالم وسيظل منارة الأعلى الى الأبد .

عفيك ايها العزيز فلم اتعمّد احفاظك بما كتبت ولكن طمعي بمكارم اخلاقك وثقتي بأدبك العميم ، حملاني على الصراحة معك كي لا تظنّ سكوتي تأكيداً لمنهجك والله أدرى بمرامي الصواب .

سرّني معرفة مقدار الثروة التي جمعتها بجدّك بعد الخسائر السابقة الفادحة واني لأرجو لك مثل اضعافها يا ابا اديب ؛ اما انا (واتت السائل) فأفيدك ان الخسائر كانت شتّى والأرباح ان لم تكن كثيرة فهي كثيلة بالانفاق عن سعة ورخاء وهذا كما لا يخفاك حسبي والله نعم الوكيل...

اشكر لك يا ذا الحسن اريحيتك في عرضك عليّ ما في يدك انه لكرم لن أنساه لك واخلاص جدير به من كان مثلك ولو ان لي سبيلاً اليه لما أحجمت عنه ولكن في اليد ما يغنيها عن الانبساط للسؤال ومتى صغرت فنجزمها — ولنا في ذلك :

يميناً اذا ما عضّني الدهرُ بالأسى فبتّ ومالي مجلسٌ ومراقدُ
لعشتُ ابيَّ النفس ما زرتُ صاحباً ولا رُفعتْ للسؤل مني الـواعد[1] ...

دعوتك اياي لحضور الحفلة التي تستعدّ لاقامتها ، ضرب من الطائف

١) اقصد بهذا الناس الأغيار وما أنت الا اخ فلا يخيل اليك انك المقصود منه .

لم أعجب له واللطف ملكة فيك فيا حبذا لو ان في الوسع القيام بزيارتك لتتمتع برؤيتك بعد طويل الفراق ولكن حيبات ودون ذلك مسافات يعجز عن اجتيازها حتى الفكر ، ناهيك عن عدم وجود من ينوب عني اذا غبت. فاذا فاتني المراد من لقياك فلن تفوتني الرغبة في تمنّي كل سعادة ورخاء لك . فاقبل عواطفي القلبية ولا تخلف بالوعد واسلم طويلاً لابن عمك الذي يحبك ويقبلك كثيرًا .

امرأة عمك تهديك ازكى السلام وهي مثلي تنتظر قدومك بغبطة وسرور .

بديع

مكسيك في ٧ حزيران سنة ١٩١٩

ابن العم العزيز يوسف

.. للآن حتى اخذت كتابك وربما كان ذلك بداعي عدم انتظام البريد مؤخرًا . ان حزنك على سيادة المطران شكرالله (الخوري) في غير محلّه ، لأن سيادته والحمد لله حيّ يرزق ، وهو الآن عند شقيقته نهاري في الجيّه . نعم انه طرأ عليه مرض عصبي بداعي ما قاساه من اهوال سني الحرب ولكنه تعافى تماماً كما اخبرني سيادة شقيقه المطران عبدالله بكتاب ورد عليّ منه مؤخرًا فليرتاح بالك من هذا القبيل ولا تعتمد اقوال الجرائد فقد تخطئ احياناً ، وربما قرأت بعد كم يوم تكذيباً لتلك الإشاعة في جريدة الشعب بناء على طلب مني .

بلغني ان مرآة الغرب متحاملة عليّ لأنني مراسل « الهدى » في داخلية المكسيك ، وبما ان هذه الجريدة لا تصلني فأرجوك وانت مشترك فيها ان ترسل لي العدد المذكور فيه ، أو اطلبه منها باسمك لأجيبها على تحكّمها بي بما يليق بشأنها وابقِ في سرّك كوني مراسل « الهدى » المذكور اذ لم يحن وقت اذاعته بعد .

شوقي اليك عظيم جدًا فمتى تفي بوعدك يا أبا أديب ؟ حلمتك « ورفعت »[1] هذه الليلة (٦ حزيران) في بكاسين بداركم مع جوق مغنّيات فبالله عليك ان تخبرني ما طرأ عليكم في هذا التاريخ سارًا كان ام كدرًا ؟ والدتي تهديك فائق السلام . وانا اقبلك قبلات الشوق والحب والاخاء وطال بقاؤك.

لابن عمك بديع

١) رفعت مارون لبيس الخوري (١٨٨٥–١٩٣٥) كان اديباً وشاعراً توفي في بلدة (سوتا) طنجة مأسوفاً على علمه وأدبه .

الرسالة العاشرة بدون تاريخ ويستدل من مضمونها انها كتبت سنة ١٩١٩

اخي الحبيب وابن العم الأعز يوسف نخله حفظه الله .

عجبتُ لقولك انك لم تأخذ مني كتاباً كل هذه المدة في حين اني حررت لك ثلاثاً : جاوبني على اثنين منها ياصاحب العزيز رفعت . فهل تلطّف بالكتابة ولم يخبرك بما فعل ؟ ام انك تتطلّب المزيد « ادلالاً » ايها الحبيب ؟ فعليه تجد كتاباً من الحبيب اخيك يؤكد لك ما اقول .

ارغب لك كل الرغبة في التوفيق التي وايّان توجهت . فاذا شئت زيارتي قبل سفرك « وهي امنيتي » فلا تحرمني منها ولعلّنا نشتغل معاً هنا اذا وافقك الشغل فنكون اثنان لواحد وواحد لاثنين . والاّ فأتزوّد منك قبلة الوداع قبل عودك الميمون الى الوطن وهو كل ما اتمناه .

أخبار من الوطن : انتخبت بلدية بكاسين فتاز ابن عمنا فرح افندي الخوري وحزبه واندحر نصرالله واتباعه وسيكون فرح رئيساً بهمة رئيس محكمة البترون ابرهيم بك ابي سمرا (غانم) .

المطران عبدالله (الخوري) حرّر لي مؤخراً من الديمان حيث هو الآن يخبرني مفصلاً عن سفر غبطته (كما روته الجرائد) وذهاب سيادة شكرالله معه وانه هو لم يذهب بمعية البطريرك لبقائه نائباً عنه في ادارة مهام البطريركية اثناء تغيّبه وفقهم الله ورعاهم بطرف عنايته .

جاوبني حالاً بوضوح وإفاضة لانني على غاية الشوق اليك وبلّغ سلامي الى الاعزاء اخوانك لا سيما رفعت وقل له لماذا لم يتكرّم بالجواب على رسالتي الأخيرة . والذي تهديك السلام وأنا أقبلك بشوق وطال بقاؤك الى الملتقى .

لابن عمك بديع

إن هذا البحث الموجز : لا يكفي للالمام بآثار هذا الشاعر الملهم ، لأننا لا نتوخّى إلاّ إظهار فضله واحياء ذكره .

ولمّا كان الدكتور وليم نعمه من دير القمر تزيل مكنيك ؛ قد اطّلع على مخلّفات « البديع » وعلى ديوان والده خليل ، وقد آلت اليه هذه الثروة الأدبية مؤخراً من ابن شقيقة الشاعر راوول ديب اسطفان نعمه الديراني الأصل . فاننا نرجوه رجاء حاراً أن يُعنى بجمع هذه الدرر المكنونة ، وابرازها الى النور ، خدمةً للادب ، وحرصاً عليها من الضياع .